قواعد التشريفات للدولتين المرابطين و الموحدين

- عهد المرابطين

١- تشريفات استقبال السفراء عند المرابطين

ان الموفدين يأتون للمملكة بدافع من مبادرة تستخدمها الدولة لضرورة تقتاضيها مصالحها او بعض السفارات ترد استجابة لإيعاز من المغرب ذاته او استدعاء السفارة لحل مشكل عارض وكان امير المسلمين دائم الاهتمام بأمر الولايات لا يترك امرا من الامور في ولاية دون ان يؤكد على اهلها بالعمل على الحفاظ على وحدتهم والانقياد لا ميرهم وبعدها اراد المرابطين التفاهم مع البرغواطين عندما ارسلوا سفرائهم التي ضمت عدد من الرسل والعلماء الى قرطبة لتجنب الحرب بين الطرفين الا ان البرغواطين اجهزوا على السفراء وقتلوهم وجهزوا جيش لطرد المرابطين من مراكش كلها الا ان المرابطين جهزوا عدد من الرجال للانتقام من هؤلاء

بعدما ارسل المعتمد بن عباد سفارات الى يوسف بن تاشفين جمع العاهل المرابطي كبار قومه للتشاور فكان من رأيهم الا نفرط في الجار وبيننا وبينه ساقية ماء فارسل يوسف سفارة الى المعتمد بيد قائدين حول شرط تسليم الجزيرة الخضراء لتكون قاعدة امينه لعبور الجيش وعندما وصلت الرسالة الى المعتمد ابقى القائدين عنده لمدة طويله لكن المعتمد لم يلبث ان سمح للقائدين بالعودة وصحبتهم بعثة من الاشبيلين فقالوا له في الرسالة ابقى في سبتة ثلاثين يوماً حتى يمكن التخلي لكم عن الجزيرة لكن يوسف ارسل جيش الى الجزيرة ولحق بهم اخرون الى ان عبر الجيش كله وعمل يوسف طول حياته على محاربة المنكرات وهدم دور الخمر وقضى على كل مظاهر الفساد وبهذا العمل فتحت له القلوب قبل ان تفتح له القلاع

٢- تشريفات الحجاب عند المرابطين

من مهام الحجاب هو حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه والحاجب واسطه بين الناس والخليفة لتنظيم المسائل وعرضها بحسب اهميتها للحاكم الاعلى للبلاد ومن صفاته واجبة و مستحبة الواجبة مثل العدالة الامانة و العفة و المستحبة ان يكون حسن المنظر و عارف بمقادير الناس وبعيداً عن الهوى ومعتدل الاخلاق بين الشراسة واللين وكذلك الحاجب يدرس حوائج

الناس ويأذن لهم بالمثول بين يدي الخليفة او يوصى بقضاء حوائجهم فلا تكون هناك حاجه للمثول بين يديه او يرفض الاذن لهم اذا كانت الاسباب للمقابلة غير قويه او لم توجد اسباب

والحجاب في اصل الوضع عبارة عمن يبلغ الاخبار من الرعية الى الامام ويأخذ لهم الاذن منه وهي وظيفة قديمة كانت لابتداء الخلافة فلكل خليفة حاجب من ابتداء الامر والى زمانه و تميزت الدولة المرابطيه بالبساطة بل كانت من اليسير ان يتصل اي شخص بأمير المسلمين عن طريق الاعوان وساعد ذلك ما امتاز به المرابطون من الزهد في مظاهر الحياه وكان يوسف يتفقد احوال الرعية ويباشر الشؤون بنفسه كما كان عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز من قبله الا ان ابنه علي بن يوسف كثيرا ما كان ينصرف عن مباشره شؤون الدولة الى التعبد والتبتل

واشار ابن الخطيب بقوله ((وعكف اي تاشفين بن علي على زيارة قبر ابي وهب الزاهد بقرطبه وصاحب اهل الإرادة وكان وطئ الاكناف سهل الحجاب يجالس الاعيان ويذاكرهم)) وعندما كبر او قوي صيت تاشفين ، فاقلق اخوه سير لأنه لم يبقى له سوى ذكر اسمه فحاول ابوهم(علي بن يوسف) ان يرضى ولده وولى عهده سير فاستدعى ابنه تاشفين من الاندلس وعندما وصل الى مراكش نظمه ابوه في حاشيه اخيه وصار من جملة من يتصرف بأمر اخيه ويقف ببابه كأحد حجابه

٣- تشريفات الوزراء عند المرابطين

ان الوزارة هي ام الخطط السلطانية والرتب المملوكية لان اسمها يدل على مطلق الإعانة و هي مشتقه من ثلاثة اوجه هي احدهما انها ما خوذه من الوزر وهو الثقل لأنه يحمل عن الملك اثقاله والثاني انها مأخوذة من الوزر وهو الملجأ لان الملك يلجأ الى رايه ومعونته والثالث انها ما خوذه من الازر وهو الظهر لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ولعب الوزراء منذ منتصف القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس من الهجرة دورا بارزاً في معاونة حكام الدولة لتسيير دفة الحكم ورعاية شؤون البلاد لان الوزارة تحمل في طياتها معنى المؤازرة او المعاونة و الوزير يعد في منصب مختلف الاطراف يدبر غيره من الرعايا ويتدبر بغيره من الملوك يقوم بسياسة رعيته وينقاد لطاعة سلطانه وبذلك فان منصبه يتفوق المناصب الإدارية الاخرى كالكتابة والحجابة

ويؤكد الطرطوشي على اهمية دور الوزير ((واشرف منازل الادميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزاره والوزير عون على الامور وشريك في التدبير وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة والوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال نعم الظهير الوزير))

ولم يتخذ الامير يوسف وزراء بالمعنى المتعارف عليه و لم يمنح لقب وزير لاي شخص كان لأنه لم يفكر في اتخاذ القاب فخمه وهذا يدل على قبوله بلقب امير المسلمين لفهمه للإسلام وتواضعه الا انه اتخذ لنفسه اعواناً يرجع الى مشورتهم و كتاباً يشرفون على ديوان الرسائل او الا نشاء فاطلقوا على المستشارين وزراء يجالسون الامير ويشاورونه بمختلف الشؤون والاخرين كتاباً يذيعون المراسيم والبراءات ويحررون الرسائل

حيث اتخذ الامير طائفه من الفقهاء والاعيان يلازمونه في قصره وتنقلاته يبدون آرائهم في المشاكل المطروحة وكلمة الفصل وكان للمرابطين وزراء اقليميون تبقى للأمير و لم يتمتع وزير المرابطين بما كان في العباسيين واتخذ يوسف وزيرا له صهره سير بن ابي بكر والوزارة في عهد علي بن يوسف تعقدت لكثرة عدد الوزراء في الدولة والوزراء يحترموهم امراء المسلمين ومحل ثقتهم

واستوزر علي بن يوسف ينتان بن عمر وعند انشغال الولاة بالجهاد والمعارك في المغرب والاندلس فتولى منصب الوزارة القادة العسكريين وايضا وزراء مدنيون ومعظمهم من الفقهاء تمتع الوزير في عهد علي بن يوسف بمركز ممتاز ووثق بوزرائه ثقه مطلقه والوزير يشارك امير المسلمين علي بن يوسف في تدبير شؤون الدولة

ويوجد نوعان من الوزراء وزراء عسكريون ووزراء حرب هم من قرابة السلطان الامير او من قبائل لمتونه ووزراء كتاب من الفقهاء وبجانب هذا التنوع انقسم الوزراء الى وزراء عسكريون يقيمون في مراكش عاصمه البلاد ووزراء اقليميون تابعين للأمراء المحليين وقد نال الوزراء مكانه ممتازة في الدولة المرابطيه والوزير هو الشخص المقرب من الامير والذي يحضر مجلسه

٤- تشريفات القضاء عند المرابطين

كان للتنظيم القضائي التي شهده المغرب الاقصى خلال القرنين الخامس والسادس الهجري دوره في الحياه الإدارية فقد اهتم ولاة الامر من المرابطين بالقضاء فاستندوا بنظامهم القضائي الى نظام الاندلس القضائي فاخذو كثيرا من النظم القضائية الأموية وطبقوها بالمغرب والاندلس واتسمت الاجراءات القضائية في عهدهم بسرعه البت والبساطة

قام عبد الله بن ياسين للقضاء بنفسه بقضائه على وسائل اللهو وحرقه لمتاجر الخمر في سجلماسه واسس الجهاد في سبيل الله واقامة الحدود وجباية الاموال و اخذ الثلث من مختلف الاموال بحجه ان ذلك يطيب باقيها وكان الامير او الخليفة الرئيس الاعلى للقضاء لتعلق هذه الوظيفة بالدين

لكن في عهد يوسف لمنصب القاضي اهميه كبيره فكان يعين القضاة من كبار العلماء واكثرهم من غير قبيله صنهاجه وتعد سياسة حكيمة اتبعها يوسف لتحقيق العدالة والمساواة ومنحهم رتبه عالية في الدولة ويستمدون نفوذهم من سلطة الدولة ويحكمون وفق المذهب المالكي ويقوم بتنفيذ احكام الولاة

ومن واجب القضاة ان يطلعوا مقدماً على الشؤون التي تهمهم من قبل ان يقدمها الوزير الى امير المسلمين وهكذا ((رد يوسف احكام البلاد الى القضاء واسقط ما دون الاحكام الشرعية وكان يسير في اعماله بنفسه فيتفقد احوال رعيته في كل سنه))

وكان تعيين القاضي يتم بعهد من امير المسلمين او نائبه او يرشح من اهل البلاد الذي يرسلوا اسم القاضي الذي يريدوه الى الامير ويرسل بخطاب التعيين كما حدث بقرطبه اختاروا القاضي ابي جعفر بن حمدين وارسل اسمه للامير علي بن يوسف فاقرهم على اختيارهم او يختار اهل البلد اسمين لمرشحين فيختار احدهم الامير او يجعل الاختيار لهم فاذا عجزوا حدد هو اسم القاضي و يعين امير المسلمين كبير القضاة بالأندلس واخر بالمغرب ويترك امر تعين القضاة في المدن والقرى للأمراء المحليين بعد مشاورة قاضي الجماعة بقرطبة او مراكش واامير المسلمين يكتب عقد للقضاة التي تم تعيينهم ويبعث اليه دستور يعمل بموجبه فان خالف تعرض للعزل فعندما جمع علي بن يوسف القضاة والفقهاء في مجلسه لمناظرة ابن تومرت

وكان مجلس حكم القضاء في المسجد وللقاضي حجاب ينظمون دخول المختصمين وكتاب يقوموا بكتابه ما يامر به القاضي و من اعمال القاضي الفصل في المنازعات والاشراف على الاحباس والاوقاف والاشراف على الاداب العامة ويوسف بن تاشفين جعل احكام البلاد بيد القضاة

- عهد الموحدين

١- تشريفات استقبال السفراء عند الموحدين

كان استقبال الخلفاء الموحدين لرسل الملوك بصورة عفوية ولم يرتب الخلفاء طريقة استقبال لأولئك الرسل وانزالهم والترجمة عنهم بشكل منظم ففي سنة ٥٨٥هـ جاز المنصور الى الاندلس فخرج من مراكش فنفذ المخاطبات الى اشبيليه تضمنت التيسير باستقبال جيوش تلك البلاد وانحيازها لنصر اهلها على عدوهم وعندما جاء رسول الى المنصور بعث مخاطبات الى الولاة والعمال في المغرب بالاحتفال به واستقباله وانزاله في مدينه فاس فأقام بها الى ان جاء المنصور واستدعاه فقعدوا منفردين وقبل دخوله امر بقصده الى المراد فأجابه المنصور واحيل على ما يوضحه له الوزراء مفسراً ومكملاً وافيض عليه المنصور بالإحسان والامتنان وعندما انصرف لبلاده فعلم ان بالمغرب ملك الاسلام ومقر الايمان وفي اخر خلافة المنصور نظم الخلفاء خط لاستقبال رسل الملوك ففي سنه ٥٨٩هـ امر المنصور باختطاط منزل بخارج اشبيليه لنزول المجاهدين ورهبتاً لنفوس الكافرين يكون بتاج الشرف ويكون كالطالع بين سحرها ونحرها فقامت في ادنى اشخاص الاسوار مده مثلث مواضع الديار وكمل القصر الكبير وبناؤوه ضخم وعندما شاهده المنصور سماه حصن الفرج وكان من عادة الدولة الموحدين تتجمع لاستقبال الخليفة او توديعه اظهاراً للطاعه والمحبة

وفي عهد الناصر استحدث منصب وزير جديد لاستقبال الوفود والسفراء من اسبانيا و اوربا ومهمته استقبال الضيوف وضيافتهم والترجمة عنهم وكان استقبال الناصر لملك ليون تعتبر اساس للتعامل الدبلوماسي فخرج الناصر من الباب المعتادة لوصوله لعتبة جلوسه وملاقاة ضيفه في الطريق اليه وايضا من مراسيم استقبال الموحدين فهي ان يكون الملك في حاله وقوف قبل ان يقدم عليه رئيس الدولة او مثلها

٢- تشريفات الحجاب عند الموحدين

((لما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية الى انتحال الالقاب وتميز الخطط وتعينها بالأسماء الا اخراً ولم يكن عندهم من الرتب الا الوزير)) كانوا الموحدون يخصون هذا الاسم للكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره وايضاً النظر في الحساب والاشغال المالية واشار المؤرخين ان في عهد عبد المؤمن اتخذ من الحجاب احد وزراءه

ويقول النويري ((ثم مات عبد المؤمن وكان بسلا فكتموا موته وحمل في محفة من سلا بصوره انه مريض الى ان وصل الى مراكش وكان ابنه ابو حفص عمر ازناج حاجبا لأبية فبقى مع اخيه على مثل حاله مع ابيه يخرج الى الناس فيقول امر امير المؤمنين بكذا وكذا)) ويوسف يقعد مقعد ابية الى ان كملت المبايعة له في جميع البلاد ولما تولى يوسف بن عبد المؤمن الخلافة تولى حجابته اكثر من شخص واولهم اخوه عمر ابو حفص ويقول ابن زرع ((حاجبة الضابط لأمره والقائم بملكه اخو السيد عمر ابو حفص))

وعندما جلس الخليفة لتلقي بيعة ابن مردنيش تولى الوزير ادريس بن ابراهيم جامع مهمة تنظيم دخول الوفود وتبليغ الخليفة بطلبات الناس واشار الى ذلك ابن صاحب الصلاة بقوله ((حين جلس الخليفة في مجلسه العالي الكريم خرج الوزير ابو العلا ادريس بن جامع وامرهم بالدخول والمثول بين يديه فدخلوا وسلموا سلام جماعه ثم بايعوا واحداً بعد اخر)) وايضا ادريس بن جامع قام بمهمة الحاجب حتى شفاء الخليفة واستقباله للعرب الوافدين من افريقية بعد انتصاره على ابن مردنيش واشار المراكشي

ان يوسف بن عبد المؤمن عنده الحاجب من مواليه يدعى كافوره بغره وللمنصور ابي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن حاجبان هما مواليه عنبر الخصي وريحانه الخصي وقيل ابن عذاري حجابه فضيل وعنبر فتياه وعندما تولى الناصر الخلافة استبد وزيره بالوزارة والحجابة ولم تصله اخبار الدولة الا بعد جهد وعناء ومشقة

واتخذ الناصر اثنين من الموالي لحجابته وهذا ما اشار اليه المراكشي ((ريحان الخصي ويدعى ريحان بينك حجبه هذا الى ان مات ثم حجب بعده مبشر الخصي يدعى مبشر ولدي فلم يزل مبشر هذا حاجباً له الى ان توفي امير المؤمنين رحمه الله))

٣- تشريفات الوزراء عند الموحدين

الوزارة تنظيم اداري ابتدعه ابن تومرت لتنظيم شؤون الدعوة التي اشترك بهذا التنظيم عدد من زعماء القبائل وهم جماعة العشره وجماعة الخمسين الذين كانوا اعلى هيئه استشارية في البلاد ولم تكن الوزاره في عهد الدوله الموحديه اعلى المناصب الاداريه اذ ان المناصب الاداريه العليا كانت تسند الى اشياخ الموحدين ومن ضمنهم عبد المؤمن وعندما تولى الخلافة عبد المؤمن

بدأت الوزاره تتخذ مكانها فاتخذ عبد المؤمن وزراء ليكون سنداً لـه في ادارة شؤون البلاد وكان هؤلاء الوزراء اما من اسرة الخليفة او من ينتمون لقبيله معينه مثل قبيله هنتاته

والوزير هو المتحدث للملك في امر مملكته وسمي بالوزير لأنه متقلد بخزائن الملك وامتعته والوزير هو الذي يبلغ اوامر الخليفة الى جهات الاختصاص ويشرف على تنفيذها ويشرف على تنفيذ الاجراءات العسكرية وتفقد الاحوال في منطقة مضطربة وكذلك مسؤول عن اعداد الاحتفالات الرسمية وترتيب الدخول على الخليفة ويشرف على اجراءات البيعة للخليفة الجديد وجميع مهام الوزير في وزارة المنصور لأبية(يصورها المراكشي ((ولي الوزارة ايام ابيه فبحث في الامور بحث شافياً وطالع احوال العمال والولاة والقضاة وسائر من ترجع اليه الامور مطالعة افادته معرفة جزئيات الامور فدبرها بحسب ذلك فجرت اموره على قريب من الاستقامة والمداد))

ووزراء لهم براعه ومهاره مثل ابي جعفر بن عطيه الذي جمع بين وظيفتين الكتابة والوزارة وذكر المراكشي ((ووزر عبد المؤمن في اول الامر ابو حفص عمر ازناج الى ان استقر الامر واستقل عبد المؤمن فأجلى ابا حفص هذا عن الوزارة وربأ اي رفعه بقدره عنها اذ كان عندهم فوق ذلك)) واصبح للخليفة وزيراً او اكثر يتولى اعباء الحكم والإدارة بتوجيه الخليفة وارشاده

وسار ابناء عبد المؤمن على نهج والدهم باتخاذ الوزراء من اسرة الخلافة فاتخذ يوسف بن عبد المؤمن (ابو يعقوب) اخوه السيد ابو حفص وزيراً له في بدء عهده ثم ارتفع قدره عن الوزارة وبعدها وزر ابنه يعقوب ابو يوسف ولي عهده وكذلك المنصور الموحدي والناصر اتبعوا نفس السياسة واتخذوا اخوانهم وزراء لهم واتسعت في عهد الناصر الحقائق الوزارية فهناك مسؤول عن الامور الإدارية والعسكرية واخر مسؤول عن المالية واخر مسؤول عن الامور الخارجية والوزير في عهده اصبح وزير تفويض اكثر من وزير تنفيذ والهدف من وضع الوزارة والخلافة في اسرة واحدة وذلك للتمكين للسلطة العليا في البلاد ومن يتولى الوزارة له خبره ودراية بالفنون العسكرية ليكون عوناً لحاكمه في النشاط العسكري فاتخذت الدولة الموحديه وزراء من اختصاصهم تنظيم الجيش وتجلى ذلك حين اتخذ وزيرا المنصور الموحدي قياده الجنود في معركه الارك وحقق نصرا مؤزرا

ان الوزارة معناها الحجابة في دوله الموحدين كما اشار ابن خلدون ((ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذاك اغفلت الامر اولا للبداوة ثم صارت الى انتحال الاسماء والالقاب وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دوله الامويين و قلدوها في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم والآداب التي تلزم في الكون بين يديه))

٤- تشريفات القضاء عند الموحدين

كان القضاء في الدولة الموحديه يتمتع بالإجلال والأهمية وجعلت له خطط يتولى كل مجموعه من الاشخاص خطه وحرص خلفاء الموحدين على تعيين كبار القضاة فالقضاء من الوظائف الهامه فأشار الى اهميتها النباهي ((وخطه القضاء في نفسها عند الكافة من اسنى الخطط فان الله تعالى قد رفع درجة الحكام وجعل اليهم تصريف امور الانام يحكمون في الدماء والابضاع والا موال والحلال والحرام وتلك خطة الانبياء ومن بعدهم من الخلفاء فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة اشرف من القضاء))

واستعان كذلك الموحدون بالقضاة ومهمتهم الادلاء بحكم الشريعة في المسائل التي تعرض على الخليفة مباشرة والقاضي من الشخصيات البارزه لأنه بمثابه رئيس مجلس الدولة ويقوم الامير بتعيين قاضي الجماعة دون تدخل الولاة وقاضي الجماعة يشرف على تعيين نوابه ويعد القضاء من المناصب الدينية الهامه في عهد عبد المؤمن ورئيس القضاة يعرف باسم قاضي الجماعة الذي يعد اعظم رتبه ومنزله من بقيه القضاة اذ كان ولي الامر يستشيره في الشؤون القضائية ويعتبر من كبار موظفي الدولة يعين من قبل الخليفة وليس لاحد سلطان عليه سوى الخليفة ومهامه الاشراف على قضاة الاقاليم من حيث تعين القضاة ومحاسبتهم على أعمالهم وكان الخلفاء يعينوا من فقهاء الاندلس قضاة بالمغرب

بالإضافة للقضاء في عهد عبد المؤمن يوجد منصب صاحب الشورى الذي يضم الفقهاء الممتازين ومهمتهم الافتاء للناس و مساعد يسمى صاحب الاحكام له الحق في ابداء الراي للأحكام الشرعية ووجود وظيفه المحتسب في الاسواق للأشراف على صحة المكاييل والموازين ووظيفة الصلاة يراسها صاحب الصلاة يعين من قبل خليفه وليس للولاة سلطه عليه ومهمته تعيين ائمه مساجد والنظر في شكاياتهم واعطى المنصور الموحدي للقضاة الحق في مراقبه جميع العمال والولاة باعتبار القضاة ممثلين للشريعة الإسلامية وان على العمال والولاة الخضوع والامتثال لأوامرهم والامير الناصر الموحدي حريصا على اختيار قضاته من الذين يتميزون بسعة المعرفة في مجال الفقه والحديث والادب ، وولي الكثير من القضاة ومن ضمنهم ابو القاسم احمد بن يزيد بن عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي الذي اسنده له من المنصور الموحدي قاضي الجماعة في مراكش وكان يقعد في موضع بينه وبين الامير المنصور الموحدي ستر من الواح حتى كان يسمع ترافع المتداعين وحكم القاضي وظل قاضياً طيلة حكم المنصور الموحدي وقسم من حكم ابنه الناصر